منصات
للأبحاث و الدراسات الاجتماعية

مقـــــالات

"الرجولة" في زمن كورونا:
الهوية الذكورية بين المجالين العام والخاص

بشرى زمان
باحثة في علم الاجتماع

جميع الحقوق محفوظة © منصات

"الرجولة" في زمن كورونا:
الهوية الذكورية بين المجالين العام والخاص

تقديم

" #عاون__بلادك__خليك__فدارك" شعار إعلامي لتحفيز الساكنة المغربية من أجل التزام البيوت وذلك تلبية لحالة الاستنفار العامة التي تروم تطبيق الحجر الصحي المفروض من طرف الدولة لسلامة الساكنة من الإصابة بفيروس (كوفيد ـــ 19)، في تقاطع مع حالة الطوارئ التي يشهدها العالم خلال الأشهر الأولى لسنة 2020 م، ودعوة عالمية لإخلاء المجال العام والمكوث بالمنازل إلى حين إشعار آخر. يدعونا هذا المشهد إلى إمعان النظر الموضوعي في هذا الوضع الاستثنائي ويحيلنا على طرح بعض الأسئلة من لائحة أسئلة متعددة: إلى أي حد يستطيع الرجال بالمجتمع المغربي تقبل الحصار داخل المنازل باعتبارها مجالات خاصة والتنازل عن حركيتهم بالمجال العام؟ وكيف يدبر الرجال بالمجتمع المغربي تواجدهم القهري بفضاء يتمثله المجتمع؛ فضاءً أنثويا ؟

في محاولة للإجابة عن هذين السؤالين تسحبنا أطروحة الهيمنة الذكورية لبيير بورديو حيث " التوزيع الصارم جداً للنشاطات الممنوحة لكل واحد من الجنسين، لمكانه وزمنه وأدواته. إنها في بنية الفضاء، مع التعارض بين مكان التجمع، أو السوق، المخصصة للرجال، والمنزل المخصص للنساء" 1. إن الحبس الرمزي الممارس ثقافيا على الأنثى تحول في ظرف استثنائي إلى قهر للجسد الذكوري بحبسه داخل أسوار المجال الأنثوي؛ ليس بقرار ثقافي ولكن بقرار سياسي لضمان الصحة العامة للمواطنين.

بالمجال العام يتعلم الذكور شفرات الرجولة « les codes de virilité » وهم يرتادون الملاعب والنوادي . . . باعتبارها "منازل للرجال"2 « maisons des hommes » . تعد إذن المجالات العامة ليس فقط الملاعب والنوادي بل أيضا المقاهي والمساجد . . والشارع عموما؛ مجالات للحضور الذكوري حيث تتحقق معالم الرجولة بشكل مبكر من خلال التنشئة الاجتماعية في حين تحاصَر الأنثى بالمجال المحكوم بأسوار المنزل وخصوصية الأفضية الرطبة الغير مكشوفة المُلزِمة للشرط الأنثوي بمجتمعاتنا.

يشكل المنزل بالنسبة للمرأة؛ ملكية خاصة وحصناً اجتماعيا وإطارا ثقافيا حاضناً، في حين يطرد هذا المجال الرجالَ إلى الخارج من أجل السعي والكد واستكشاف العالم الخارجي كعلامة فارقة بين عالم الرجال وعالم النساء "لعْيالات". تتعدد مظاهر اقتران المنزل بالمرأة في الخطاب اليومي لمجتمع الرجال بتعبيرات متداولة من قبيل" مّالين الدار" أو " الدار" للإشارة إلى الزوجة؛ لتتماهى المرأة باعتبارها جسداً "شيئا" مع المكان الذي هو " الدار" وكأن الرجل لا يصح انتماؤه إلى هذا المجال الخاص، وكل مكوث للرجل بالبيت يصبح بمثابة عملية سحب للشرف ونخوة الرجولة وفاعليتها التي لا تتحقق إلا خارج حيطان المنزل، مما يعرض الرجل إلى الوصم بتشبيهه بالمرأة أو اتهامه بعدم الجدوى أو بالخضوع للمرأة، فيفقد الرجل التتويج الاجتماعي الذي يبارك انعتاق الرجل من سياج الظل المنزلي الملازم للكيان الأنثوي؛ هذا الأخير الذي يستلذ هذه الفقاعة الاجتماعية حيث تشعر المرأة بأنها سلطانة مملكتها حتى وإن لم تتجاوز هذه المملكة بضع أمتار المنزل.

إذا كان الشارع أو المجال العام خيارا ذكوريا للإعلان عن الرجولة وفضاءً لتجسيد الفاعلية وكسب الرزق والحرية والمتعة، البروز و إثبات الذات الحاملة للقيم الثقافية للمجتمع . . . ؛ فإن هذا التواجد للرجال بالمجال العام ليس تواجداً في زمن ممتد وإنما يحتل حيزاً أكبر مقارنة مع الزمن المنزلي للمرأة والذي قد يتحول إلى زمن شبه دائم لاسيما بالنسبة لربات البيوت، أما بالنسبة للمرأة العاملة فيكون زمنا موزعا بين زمن العمل خارج البيت وزمن العودة إلى المنزل بسرعة. يتجلى الفرق في الحياة اليومية لكل من الرجال والنساء في التوزيع الزمني للمكوث بالبيت بين زمن ممتد أو شبه ممتد وزمن ضئيل كأنه وضع اضطراري للرجل يلزمه بضرورة العودة لدفء البيت ابتغاء الأكل أو النوم أو أخذ قسط من الراحة في وقت مستقطع. يغيب الرجال معظم الوقت عن المنزل، وكأنهم في حالة فرار دائم من أجواء المنزل مما يسبب شكوى دائمة للنساء من استقالة الرجل من مسؤوليات البيت والأولاد.

فيروس كورونا والهندسة المجالية الطارئة للرجال

"المكان قطب أساسي في هندسة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين[. . .]إن هندسة المكان أساس مادي هام في هذه العلاقات"3 ، غير أنه في زمن تفشي وباء كورونا ستنقلب هذه الهندسة الاجتماعية التي ترسم حدودا مجالية يحكمها توزيع تراتبي ضمني حيث يستدمج الفرد سلطة اجتماعية رمزية، يطرد أثناءها الكائن المجهري اللّامرئي المجتمع الذكوري إلى الداخل. يتحول المشهد العام بعد ذلك إلى مجالات ساكنة مهجورة إلى حد كبير يغمرها شبح الموت والهلع من قدوم الجائحة.

تحولت إذن الشوارع والساحات والأزقة والمساجد. . من أفضية دينامية وصاخبة؛ إلى محض زوايا يسكنها الصمت والترقب وكأنها تنتظر مرور العاصفة الوبائية التي قلبت موازين الحركية الذكورية التي كانت بالأمس تحتل مجمل المجالات ـ لاسيما منها المجالات الحضرية ـ إلى سكون ذكوري يرتقب داخل أسوار المنزل.

"يعكس هذا الفيروس إذن، كونية الطبيعة وقوتها، كونية الإنسان وضعفه، ثم كونية الوجود وعبثيته. ويكشف لنا عن حقيقة الإنسانية المشتركة، وهي «الهروب الدائم من الموت». إنها الحقيقة القادرة على أن تغير كل شيء في الإنسان، سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وفلسفيًا. فقد يهرب المرء من الموت، ولو اقتضى منه الأمر الانسلاخ عن ذاته، ويحتمي بالآخر الذي لطالما اعتبره جحيمًا وعدوًا"4 . ستُلزم؛ إذن؛ الظرفية الوبائية الرجلَ بإعادة ترتيب مجاله الجديد / القديم وفق إستراتيجية مؤقتة؛ يحتاج خلالها الرجل تدبير تواجده بالمجال الخاص دون أن يفقد سلطته الذكورية أمام منافس ـــ ليس بالضعف الذي يُنعث به ـــ يتشاطر معه هذا المجال؛ إنها المرأة التي أَلِفت بسط سلطتها الأنثوية بالحيز الجغرافي الضيق كمدبرة ومالكة رمزية لهذا المجال الخاص؛ نحن إذن أمام فضاء قد يتحول إلى ساحة صراع إما ضمني أو معلن عنه بين هذين الشريكين على من يملك سلطة المكان، " إنها علاقة صراع مبنية على توتر بين طرف يأمر وطرف يخضع. وبالتالي فإن التقسيم بين الحياة العامة أي تدبير شؤون الأمة، والحياة الخاصة أي مجال الجنس والولادة يعد تقسيما بين عالم ذكوري وعالم نسوي"5 إذا كانت فاطمة المرنيسي تعتبر العالم المنزلي عالما مقسما إلى فئتين: "الذكور الذين يمتلكون النفوذ والنساء اللائي يخضعن "6 ؛ فالواقع الآن في زمن كورونا يعطينا معطيات أخرى ـــ من خلال طرح السؤالين المؤسسين لهذا المقال على مجموعة من الأزواج وأيضا من خلال تحليل الخطابات الساخرة التي تم إبداعها عن فيروس كورونا واعتماد بعض الوثائق الالكترونية ـــ بأن المرأة ليست بهذا الخضوع لسلطة الرجل داخل البيت بل نجدها تعيش في وضع من صراع الأنداد لإعادة السلطة المنزلية إلى قبضتها، مما يولد عنفا منزليا متبادل أو عنفا موجها للمرأة أو العكس، كما قد يتم تصريفه للأولاد ليغلب التوتر والقلق على الفضاء الأسري في زمن الحجر.

يُحوِّل الرجل أزمة صراعه المنزلي مع المرأة إلى خطاب ساخر من قبيل؛ "ما حيلتي لكورونا برا ماحيلتي للمرا فالدار" يتوزع الرجل صراعين؛ صراع اجتماعي يخوض غماره مع المرأة داخل الإقامة الإجبارية بالبيت ومعركة الخوف من مواجهة الوباء في حالة الخروج المشروط والاستثنائي. لكن السؤال المطروح؛ هل هذا "الصراع" الذي تم تصريفه في السخرية وليد اللحظة الوبائية أم أنه صراع قديم عملت حالة الطوارئ على تقويته وإبرازه بشكل أقوى؟ .

وفي "الجبهة المقابِلة" نجد المرأة المشتكية بالأمس القريب من غياب الرجل عن البيت؛ متضررة من تواجده كمنافس لها؛ اليوم؛ في زمن الحجر الصحي؛ منافَسة ثلاثية الأبعاد: المجالية والزمنية والوظيفية، والمتجلية في احتلال الرجل لبعض الأمكنة داخل المنزل لإعلان دوائره الخاصة البديلة عن المجالات العامة حيث " تتعقد الأمور مع التلفاز، فهي متطلبة للوقت، وقد يشعر أحد الشريكين أن التلفاز، دخيل، لاسيما المرأة . كون الرجل مُلْتَهِم تلفزي téléphage » « وقد يكون المتحكم في هذه الممارسة، فالمرأة لا تقبل بغياب رفيقها بسبب التلفاز، إن هذه الممارسة هي بديلة عن المقهى وعن الحانة، فقد أسست أجيال سابقة داخل المنزل أو الشقة، مجالا خارج منزلي extra – domestique » « ، منطقة "خاصة ــ شخصية". فالتلفاز إذن وسيلة للهروب من التقطيع المجالي الذي تفرضه المرأة على الرجل"7. إذا كانت هذه الحيزات الجغرافية داخل البيت يتملكها الرجل أثناء تواجده بالبيت في الأيام العادية، فإن الأمر تفاقم خلال فترة الجائحة الفيروسية، ليس فقط بمكان تواجد التلفاز ولكن أيضا برقع مجالية أخرى حيث ينأى بنفسه ليعيش عزلته وينعم بحريته التي سلبت منه أثناء الحصار الصحي.

يتناوب الرجل مصادر المعلومة من التلفاز إلى الهاتف النقال الذي يتيح له فضاءً بديلا باعتباره مجالا عاما افتراضيا يتواصل من خلاله مع الأصدقاء عبر رسائل على الفايسبوك و الواتساب وغيرها، حيث يعلن بعض الرجال عن حضورهم الفعلي ومواكبتهم المجتمعية من خلال الفيديوهات المسجلة أو المباشرة، في حين يستعيض البعض ظرفيا بالجدار الافتراضي عن حيطان الشوارع والأزقة ــ لاسيما الفئة الشابة ــ حيث يلتقي الأصدقاء في موعد مع الدردشات والنكات وآخر الأخبار و . . . . .

يتنقل الرجل في محاولة لمحاربة الضجر من غرفة إلى أخرى ومن أريكة إلى كرسي بالشرفة أو في جولة استطلاع متكررة لإعادة اكتشاف زوايا البيت كما صرح بذلك أحد الرجال الذين سألتهم قائلا: " الأمر صعب، هذه أول مرة يفرض على الرجال المكوث بالبيت، حيث ألف الذكور الخروج والجلوس بالمقاهي مع زملاء العمل والأصدقاء، أو القيام بنزهات وخرجات، زيارة الأهل والأقارب؛ كل هذا تبخر. والرجال المتضررون هم الذين لا يملكون هوايات، مما سبب الشعور بالملل دون إيجاد خيار بديل غير الانتقال من "غرفة لأخرى" والتحول من تصفح مواقع التواصل الاجتماعي إلى مشاهدة شاشات التلفاز لتلقي الأخبار عن موضوع الوباء، ومن النوم إلى الأكل وشرب القهوة المنزلية كبديل عن فناجين القهوة بالمقاهي، ومنهم من يقتطع جزءا من وقت الحجر الصحي للخروج من أجل التبضع "

كما يتم تحويل اهتمامات الرجل في أجواء الضجر إلى التركيز على تفاصيل البيت والمطبخ والأولاد في وضع تُتَبادل فيه أجواء النّق التي كان يشتكي منها الرجل من المرأة، إلى نَقٍّ ذكوري بديل؛ بمعنى آخر؛ عنف لفظي منزلي متبادل يعلن عن تشنج العلاقات الأسرية أو فقط يكشفها ويعريها في زمن كورونا، في محاولة لاسترداد دور الرعاية وأيضا دور الرقيب، هذه الأدوار التي انشغل عنها المجتمع الرجالي بأدوار الرجولة الخارجية من عمل ولقاء الأصدقاء بالمقاهي؛ الحانات والنوادي والملاعب والمساجد . . . . .

إذا كان الحجر الصحي والتزام المنازل صعبا على بعض الرجال مما سببه من حالة الضجر والبحث عن بدائل لتمضية الوقت داخل تقسيمات مجالية منزلية وأدوار جديدة بالبيت؛ فإنه فرصة سانحة للبعض الآخر للعودة إلى الذات ومراجعتها ومساءلتها أو كما عبر عن ذلك أحد الرجال الذين سألتهم: " الإنسان محتاج إلى العودة إلى كهفه ليتفكر في مجريات حياته. هذه العزلة منحة من رب العالمين لممارسة عبادة مهجورة وهي التأمل والتفكر. إن من أصعب الأمور على الإنسان أن يخرج من صخب الحركة والاختلاط ليدخل عالم السكون، لأن في عالم السكون سيلتقي بكل الأشخاص الضالين الذين يسكنون بداخله وعليه مواجهتهم إن اختار الجهاد والمجاهدة، أو يفر منهم إن لم يكن له العزم فيختبئ وسط صخب الحياة وبالتالي سيعيش أسوأ أيام حياته إن فرضت عليه العزلة". تتحول إذن لحظات الصمت والترقب داخل المنازل إلى زمن يضع الفرد بين قوسين لمراجعة أسئلة منسية وإعادة اهتمام الرجل كفرد بهويته وإشكالاته الوجودية التي حالت بينه وبينها مقتضيات العيش وإلزامية الحركية خارج البيت وأيضا خارج الذات.

الحبس المنزلي وقهر الرجال

تتعدد أشكال التحديات الجديدة للرجال داخل المنازل وذلك على وسائط التواصل الاجتماعي بين تحدي حلاقة الرأس وتحدي الماراتون بشرفة البيت أو تحدي الرقم القياسي للعب بورق التنظيف وغيرها من التحديات الذكورية، إلى تحدي من نوع آخر؛ إنه تحدي الجوع ؛ ليتغير المشهد تماما عندما يصبح الماراتون اليومي خط نهايته هو عتبة الفقر. فإذا كان المجتمع الرجالي الذي سبق ذكره لديه رغم كل الحصار فرصة لتحديات متنوعة لإبراز التفوق بين مجتمع الرجال وفرصة للخروج للتبضع، فكيف يمكن تصور الوضع بالنسبة للمُياوم الذي يواجه الخوف من الوباء بالخارج والجوع بالداخل؟. يتجاوز الأمر عند هؤلاء الرجال الملل من الحبس المنزلي إلى فقدان القيمة والجدوى والإحساس بالعجز التام عن إيجاد البديل ليس لتصريف الوقت الفائض بالمنزل، ولكن كيف يستمر في البقاء هو وأولاده في غياب أو تأخر أو ضعف التغطية الاجتماعية / المساعدة المالية للرضا بالاحتجاز بين حيطان بيت يعاني من انعدام المئونة الكافية

وبالتالي الإعاقة على مستوى القوامة لرجل اعتاد أن يعيل أسرته كل يوم ويشعر بقيمته وجدواه وكرامته التي باتت مفقودة الآن؛ إنه قهر قد يصل حد الكفر بالحياة. وتنقلب بذلك موازين القوامة الذكورية التي تتوجها النفقة على الأسرة ويحاصر الرجل داخل جدران بيته فاقدا لحصانته الاجتماعية التي يستدمجها وتمثل صلاحيته بالداخل والخارج، مما يسبب حالة التشظي الهوياتي للرجل ويدخله في أزمة مع الذات وعدم القدرة على تحمل الظرف الاحتجازي الطارئ.

المراجع والإحالات

1 ـ بورديو بيير، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت 2009، ص27.

* ـ إنها قراءة من جملة قراءات ممكنة، تفصح عن زاوية نظر لبعض الرجال، ولا تبسط القراءة تحليلها على المجتمع الرجالي المغربي بشكل عام.

2 – RAIBAUD YVES، la ville appartient–elle aux hommes ?، sciences humaines، n° 313، avril2019، p39.

3 ـ المرنيسي فاطمة، ما وراء الحجاب؛ الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، 2005، ص 147.

4 ـ أنوارحمادي، mominoun . com /articles /–7072والدين–والموت–المرض–في–تأملات–كورونا–زمن–في–الإنسان.

5 ـ المرنيسي فاطمة، ما وراء الحجاب؛ الجنس كهندسة اجتماعية، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، 2005، صص 151، 150.

6 ـ نفس المرجع، ص152.

7– François de singly، libre ensemble; L'individualisme dans la vie commune، Armand colin، 2e édition، 2005، p67.

منصات
للأبحاث و الدراسات الاجتماعية

من نحن؟

منصات للأبحاث والدراسات الاجتماعية هي مؤسسة بحثية ومنظمة غير ربحية مقرها الدار البيضاء، المغرب. تهدف المؤسسة إلى القيام بالبحوث المعمقة الهادفة إلى تطوير أفكار ريادية وتطبيق المقاربات المختلفة بخصوص الإشكاليات الاجتماعية سواء على الصعيد المحلي، الوطني أو الإقليمي.

تواصل معنا

+212 5 22 24 60 72

contact@menassat.org

3 ، زنقة ابنو العسالي ، الطابق 1
بلفيدر الدار البيضاء ، المغرب

www.menassat.org